مجلة جامعة الإمـام
محمد بن سعود الإسلامية
العدد الخامس
المحـرم ١٤١٢

ابن الحكاك المكي
(٤١٦ - ٤٨٥هـ)
حياته وما تبقى من شعره

تحقيق الدكتور
عبدالرزاق حسين
أستاذ الأدب المشارك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الشاعر اسمه ونسبه وكنيته[١] :

هو جعفر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن ابن عبدالله التميمي، أبوالفضل المعروف بابن الحكاك، من أهل مكة .

لم يختلف الذين ترجموا له في أسمه ونسبه، سوى ما ورد في طبقات الحفاظ عندما ترجم له بلقب الحكاك، ولكنه قال في أثناء ترجمته : «ويعرف بابن الحكاك[٢]» .

أمـا ماورد عنـد ابن كثير في نسبـه حيث قال: أبوالفضل المتممي المعروف بالحكاك المكي[٣] فلعلَّ المتممي جاءت من الناسخ، فكل المصادر التي ترجمت له نسبته إلى تميم، ولعلَّه كان يُعرف بالحكّاك وابن الحكاك والأخير أشهر .

نشأ أبوالفضل ابن الحكاك في مكة، وتتلمذ على علماء عصره في بلده وغيرها، حيث ارتحل إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد .

ففي مكة يذكر الصفدي أنه «سمع بها أبا الحسن محمد بن علي ابن صخر الأزدي البصري، وأبا نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوائلي، والقاضي أبا عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي وغيرهم ، وقدم بغداد، وخرَّج لأبي الحسين ابن نُقّور فوائد في أربعة أجزاء وتكلَّم عليها، وسمع منه ومن أمثاله[٤]» .

(١) انظر ترجمة ابن الحكاك في المصادر التالية : دمية القصر ٧٧/١، وسير أعلام النبلاء ١٣١/١٩، والوافي بالوفيات ١٦٧/١١ ـ ١٦٨ وتذكرة الحفاظ جـ ٤ ص١٢١٣ والعبر ٣/ وشذرات الذهب ٣٧٣/٣ والمنتظم ٢٦٤/٩ ومرآة الجنان ١٣٨/٣ والعقد الثمين ٤٣٣/٣ والبداية والنهاية ١٤٠/١٢ والأعلام ١٣٠/٢ .

(٢) طبقات الحفاظ للذهبي ١٢١٣/٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٤٠/١٢ .

(٤) الوافي بالوفيات ١٦٧/١١ .

ويذكر الذهبي أنَّه «سمع أباذر الهروي، وأبابكر محمد بن إبراهيم الأردستاني، وأبا الحسن بن صخر وأبا نصر السجزي وطبقتهم. . وروى عنه إسماعيل بن السمرقندي وابن ناصر وصالح بن شافع الجيلي وأبوالفتح ابن البطي ويحيى بن عبدالباقي الغزال[٥]

وُصِفَ بأنَّه كان حافظاً متقنا محدثاً ضابطاً أديباً ثقة صدوقاً، كما وُصف بالمعرفة والفقه والفضل والامانة والهيئة والمروءة .

وقد أثنى عليه الذهبي، والصفدي، والفاسي المكي، وابن كثير وابن النجار وغيرهم ممن ترجم له، وممَّن أثنى عليه صاحب معجم السفر :

«قال السلفي: سمعت أبا الحسين ابن الطيوري قال: سألت الخطيب عند قدومه من حجَّه : أرأيت هناك من يقيمُ الحديث؟ قال لا . إلاّ شاباً يقالُ له جعفر بن الحكاك. وقال السلفي: سألت المؤتمن الساجي عن جعفر بن الحكاك، فقال: صحب أبا نصر السجزي وأباذر، وكان ذا معرفة. وقال اليونارتى: كان من الفضلاء الاثبات .

وقال عبدالوهاب الأنماطي : ثقة مأمون .

وقال أبوعلي الصدفي: قرأت عليه ببغداد كثيراً، وكان يفهم الحديث جيداً[٦] .

ولاهتمامه بالحديث فقد خرَّج لأبي الحسين ابن نقّور فوائد فى أربعة أجزاء، وأورد له الذهبي حديثين في طبقاته وله جزء مخطوط في الحديث[٨] .

عمل كاتباً للرسائل عند أميز مكة ابن أبي هاشم[٩]

(٥) طبقات الحفاظ جـ٤ ص ١٢١٣ والعقد الثمين ٤٣٣/٣ .

(٦) المصدر نفسه جـ٤ ص١٢١٤ .

(٧) انظر جـ ٤ ص١٢١٣ ـ ١٢١٤ .

(٨) انظر الأعلام ١٣٠/٢ .

(٩) هو محمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن أبي هاشم، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، عيَّنه الصلبحي صاحب اليمن على مكة عندما استولى عليها، بطلب من الأشراف، ويبدو أنه كان سيُّ السيرة، =

ولِما تمتع به ابن الحكاك من صفات عالية، فقد جعله هذا الأمير سفيره إلى الخلفاء والملوك والأمراء، يتولى منهم قبض الأموال، ويحمل كسوة الكعبة المشرفة .

وأخيراً يترك مكة إلى بغداد، حيث ينصرف إلى العلم، ولا تبدو لنا أسباب هذه الهجرة، فهل هي هجرة علمية؟ أم أنها هجرة اضطرارية، أدَّت إليها تلك الاضطرابات التي عاشتها مكة في ذلك الوقت، وبخاصة عندما هرب أميرها ابن أبي هاشم بعد أن أستولى عليها التركمان .

غاية الأمر أنه آثر الانصراف إلى العلم، وزهد في العمل، وظلَّ في بغداد يحدِّث ويروي، حتى وافاه أجله في صفر سنة خمس وثمانين وأربعمائة باتفاق جميع المصادر التي ترجمت له .

وإذا كانت ولادته سنة ست عشرة وأربعمائة كما ذكرت مصادر ترجمته فقد عاش تسعة وستين عاماً. واعتماداً على ترجمة الصفدي الذي ذكر أنه «ولد سنة عشرة واربعمائة»[10] فيكون قارب الخامسة والسبعين، أما ابن كثير فيذكر أنه قارب الثمانين[11]، وهناك روايات أخرى عن عمره منها ما ذكره الجوزي الذي قال: «ولد سنة سبع عشرة، وقيل سنة ست واربعمائة»[12].

= فعزل عن الولاية بثورة الحسنيين، ثم عاد إليها مرة أخرى، وقطع الخطبة للمستنصر العبيدي، وأعاد الخطبة العباسية للخليفة القائم بأمر الله، ويبدو أيضا أن ابن أبي هاشم كان يخطب لمن يدفع من المال أكثر من غيره، ولهذا كان يخطب تارة للعباسيين وأخرى للعبيديين، على ماذكره ابن خلدون وابن الأثير وصاحب غاية المرام، وقد شهد بسوء سيرته وتعرضه للحجاج كثير من المؤرخين، مما أدّى إلى هربه من مكة سنة أربع وثمانين واربعمائة إلى بغداد، لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي. وكانت وفاته سنة ٤٨٧هـ انظر ترجمته في : العقد الثمين ٤٣٩/١ والكامل في التاريخ ٦١/١٠ والمنتظم ٦٥٦/٨ وإتحاف الورى ٤٨٧/٢ وغاية المرام ٥٠٩/١ والأعلام ٧٢/٦.

(١٠) الوافي بالوفيات ١٦٧/١١ .

(١١) البداية والنهاية ١٤٠/١٢ .

(١٢) المنتظم ٦٤/٩ .

أدبــه وشعــره :

وُصِفَ ابن الحكَّـاك بالأدب والشعـر، فهو إلى جانب مايتمتع به من الحفظ والدراية والرواية ـ كاتِبُ الرسائل للأمير، وهو إلى ذلك شاعر .

ويدلُّ ماوصلنا من شعره على طبقة في الشعر جيدة، تَظْهَرُ من قدرته على الإطالة ومن تلك الانـاقة والرشاقة في أختيار الألفاظ، إلى إصابة المعنى، مع ميل إلى الصنعة البديعية سمة العصر في ذلك الوقت. ويندرج شعره الموجود بين أيدينا في موضعين همـا: الغـزل والمـديح. والجـدير بالذكر أنه كان يطيل في المديح، فالقصيدة اللامية التى مطلعها:

عقابيل سقمي من مسير العقائل وَوَخْدِ المطايا واحتثاث الرحائل

تبلغ ستة وأربعين بيتاً، وكذا القصيدة الجيمية فعلى الرغم من تقطيع أوصالها وإيراد منتخبات منها في الغزل والمديح فإنها توحي بطولها .

في غزله نلحظ التقليدية المشوبة بالرّقة، حيث يقف على الأطلال ويخاطبها، ويجيب على عادة الشعراء الجاهليين .

«وهل عند رسم الدار رجع لسائل»

ومع ذلك فغزله يتسم بالعذوبة، ومن جميل قوله في الغزل تلك القطعة الحوارية التي يحاور فيها منزل أروى على طريقة الأحوص في بيت عاتكة .

وهو فى المديح يستقطب كلَّ المعاني السامية، ويعمد إلى الصفات الشريفة فيخلعها على الممدوح .

ونراه يسمو ويترفع عن الهجاء، لا عجزاً وضعفاً، ولكن الجواب كما يراه:

ولا تحسب جوابي ذا ولكن جوابي صدر رمحي أو حسامي

نكتفي بهذه الشذرات القليلة على شعره وحياته، فكتب التراجم والتواريخ لم تساعدنا للظفر بترجمة وافية تلقي أضواء على حياة ابن الحكاك وشعره، أو نتوسع في الحديث عنه، على الرغم من أن جميع من ترجم له شهد له، فكان الأحرى

بهذه الشهادات أن تقدم لنا معلومات وافية لسيرته، ولذلك نصدر على غير ريٍّ، علَّ الأيّام تبلّ الصدى وتروي الظمأ .

مصادر شعره :

لو لم يحتفظ لنا مجموع الأسكوريال رقم ٤٦٧ بهذه القطع الأربع، ولو لم يورد لنا الباخرزي والصْفدي تلك القطعة الْمكررة في المصدرين لضاع هذا الجانب من حياة ابن الحكاك المكي .

فالذين ترجموا له ركّزوا على جوانب ابن الحكاك العلمية في الحفظ والحديث والرواية، ولا نعرف إن كان له ديوانٌ أم لا فقد سكتت المصادر عن ذكر ذلك، ولعلّه كان من الشعراء المقلين .

أما مجموع الأسكوريال الذي حفظ لنا قطعة من شعر ابن الحكاك، فهو مجموع شعري فيه: الجزء من شعر أبي الحسن البلّنوبي، وابى رشيق القيرواني، ومهيار، وابن المعتز، وابن الحكاك المكي، والشريف الرضي وآخرين .

والمجموع برواية الفقيه أبي محمد عبدالله بن يحيى بن حمود الخريمي .

وشعر ابن الحكاك في هذا المخطوط يقع في ثلاث ورقات من ورقة ١٥أ ـ ١٨أ تتضمن هذه الورقات أربع قصائد فيها ٧٤ بيتاً .

والنسخة كتبت بخط نستعليق سنة ٥١٣هـ بمدينة الاسكندرية تتضمن كل صفحة ١٣ سطراً، وهي قيمة جداً، وعليها سماع لعبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن اسماعيل العثماني وآخرين .

الجزء من شعر أبي الحسن علي بن عبد الرحمن
الصقلي الكاتب رواية القعساني عن
عبد الله بن يحيى ... عنه
ويتبعه شعر مهيار ...
... وابن الحكاك المكي ...
سماع لعبد ...
العثماني

Fol. 1-21 y 73-101

الأسكوريال رقم ٤٦٧

مجموعة فيها

١) شعر لأبي الحسن الصقلي وغيره

من ورقة ١ - ٣١

٢) أخبار الوافدين من الرجال على معاوية

رواية الحسين بن عاصم

من ٧٣ - ١٠١

صفحة غلاف مخطوط الأسكوريال

ملأ زمت ما في النفس من غير ربه وقبلة الآخر تحير به

ورغت بحج كالهلال لاني جمعت به ما بين اجر ومغنم

وانشدنا لابن رشيق

نزعت عن الهوى وعن المدامه فلا ملك الا نزعت وما اسامه

ولكن خان معشوق واضحى نديم ونحو من عدد الندامه

فيا اجفاني اعتنقي منامًا ويا قلبي قد منت على السلامه

وانشدنا لابن الحكال الكاتب بمكة من قصيده

ليهني بني سموس [illegible] يزهين [illegible] الابراج

ولهن عقلا المهكرين به [illegible] بالمهتاج

فيهن فاتره اللحاظ غريرة خلقت محاسنها بغير خراج

بيضا تسلب العقول بفاحم جعد وهو مشرق منهاج

وسواد عيد وجيد واضح ومقبل عذب [illegible]

خافت ملاحظة الرقيب وزارنا [illegible]

فتبرقعت بضياء صبح مشرق [illegible] ظلام الليل داج

ونوهمت ان النهار تصدني عنها فكان اشد لاستدراج

ومن مديحها

ملك تجري سبق الشجاعة والندى في كل يوم ندى ويوم هياج

في كفه لعفاته وعداته [illegible] سابغ واجاج

كتائب به بالمكارم تزدهي [illegible] بسلك تاج

لم تخلعا الا الدجى ملتمة [illegible] فيه وفتح رتاج

قصر المديح وطالت عنه جلالة فكأنني [illegible] العجاج

لا كنت يومًا [illegible] غير ذلك راجي

وانشد [illegible] ابن الحكال المكي الكاتب

لأروي منزلا [illegible] العقيق [illegible]

وقفت [illegible] شجو ا

شاكرت [illegible] الشكوى

[illegible]

[illegible] ازو ي

بداية المختار من شعر ابن الحكال

يطول ملوك الارض طرا بطوله ويعلوهم في الفضل طر المناهل
فلو نادت الدنيا لخير ملوكها لنادت به يا خير حاف وناعل
هو اصله ازرت بافضال حاتم ومنطقه ازرى بسحبان وائل
اقام منار الدين بالعدل جاهدا وصان مكان الحق عن كل باطل
دعا مهما من الله في كل مشهد فيا من مجد فيه لبس بهازل
بني لذوي العليا المجد قبة قواعدها من بذل عرف ونائل

وانشدني ابو محمد للرضي
سأصبر ان الصبر من صدوره لأن ربما الزمت لقلبي عواقبه
ولا بد ان نعطي على البعد دهرنا من بيننا اوزر فيبان اقاربه
فالقلب لي الاوقات حاجه ولا ذكر لي الاذكرك حاجبه

ولانشدني للرضي
شغلني عن اللوم الصحيح بجولة عن الزهد وعن ذكر الملوك

انظر اني في القطيعة راغب هيهات وجمك بالوفاء كفيل
وكذا الصديق اذا اراد قطيعتي ظن الظنون وقال انت ملول

وانشدني للرضي
ليس الغريب الذي نأت الدار به ان الغريب وفيت غير مودود
انا الذي ان بكا وجدا احق بكا لاكمين باك من البلوى وغريد

وانشدني ابو محمد للرضي
انا الفدا الظبي ماعن ضنة الاوهمت شوقا لكت حاسرة
لاحظته والنوى تدنيني لاعطفه بعارض من رشاش الدمع مطره
مالقلب من نكر للوجد يلينه تحت الضلوع ومن دمع يدوفه
اهوى الرشا عند الشاكي بها والبين يغدو للحب يقدره
فما تذكره عند عهد في قمنا علته ما كنت انساه فاذكره

وانشدني للرضي
احن الى [illegible] واسأل عن [illegible] كل وقت

نهاية شعر ابن الحكال

[١]

«شعــــره»

لِلَّـهِ ما بي مِنْ شُمـوس هياجِ ... يزهـين بالأقمـــار في الأبـــراجِ
وَلَّهْـنَ عَقْـــلاً لم يَكُـنْ بِمُوَلَّـــةٍ ... وآهتَجْـنَ قلـبـاً لَيْسَ بالمُهْـتَاجِ
فيهـنَّ فاتـرةُ اللُحـاظِ غريـرةٌ ... خُلِقَتْ محاسنُها بغير خداجِ[١٣]
بيضـاءُ تَسْتَلِبُ العقـول بفاحـمٍ ... جَعْـدٍ وَوَجْـهٍ مُشْـرِقٍ مبْهـاجِ
وسوالـفٍ غيـدٍ وجيدٍ واضـــحٍ ... ومُقَبَّـلٍ عَـذْبٍ وطرفٍ سـاجِ
خافَـتْ ملاحظـةَ الرَّقيب ورابَهـا ... نَظري لَها وَتَتَبـعُّي ولجـــاجي
فَتَبرْقَعَـتْ بضيـاءِ صُبْحٍ مُشْـرِقٍ ... وتقنَّعَـتْ بِظَـــلام لَيْـلٍ داجِ
وتوهَّمَـتْ أَنَّ النِّفـــارَ يَصُـــدُّني ... عَنْها فكـان أشَـدَّ لآسْتِدْراجـي

ومن مديحها :

مَلِكٌ حَوَى سَبْقَ الشجاعة والنَّدى ... في كُلِّ يوم نـدىً ويـوم هيـاجِ
في كَفِّـــهِ لعُفـــاتِهِ[١٤] وعُداتِـــهِ ... بحـرا فُـراتٍ سائغٍ وأُجـاجِ
كلتـا يَدَيْهِ بالمكـــارم ثـــرَّةٌ ... تتباريـان بنـائلٍ ثجَّـــاجِ[١٥]
لَمْ تُخْلَقَـا إلاَّ لِـدَفْع مُلِمَّـــةٍ ... ولِبَذْلِ عارفَـةٍ[١٦] وَفَتْح رِتـاجِ
قَصُـرَ المديـحُ وطُلْتَ عَنْهُ جلالَـةً ... فكأنَّني بمدائـحي لَكَ هـــاجِ
لا كُنْتُ يـومَ أرى لغيـرك آمـــلاً ... ولجـودِ كـفٍّ غيـر كفِّك راجـي

(١٣) خداج : نقصان .

(١٤) العفاة : طلاب المعروف، الواحد عافٍ .

(١٥) ثجاج : مُنْصَب، وثج الماء : سيله .

(١٦) عارفة : معروف .

[٢]

وأنشدنا[١٧] لابن الحكاك المكي :

لـو كـــانَ مِنْكَ بُـــدُّ لكـــانَ لي عَنْـكَ صَـــبْرُ
أَوْ كـانَ مِنْـكَ آرْتقـــابٌ في الرمـــل ما كـان هَجْـــرُ
أو كـــانَ فيـكَ وفـــاءٌ في الحُـــبِّ ما خيـفَ غَـــدْرُ
الـــبَدْرُ وجهُـكَ حُسْـــناً إذا تغـــيَّبَ بَـــدْرُ
والخمْــــرُ ريقُـك صِرْفــاً إذا تعـــذَّرَ خَمْــــرُ
والسِّحْــــرُ عينـاكُ لا بَـــلْ عَيْنـاكَ للسِّحـــرِ سِحْــــرُ
إن يَلْحَـــني فيـــكَ لاحٍ فَفِي عـــذارِكَ عُـــذْرُ

[٣]

وأنشدنا أبو محمد لابن الحكاك المكي الكاتب :

عقابيلُ سُقمي من مسير العقائلِ وَوَخْدِ[١٨] المطايا وآحتثاثِ الرحائلِ
أَثَرْنَ فثارَ الصَّبْرُ عنِّي مُوَلِّياً وَسِرْتَ فسارَ القَلْبُ بين الحمائلِ
غـداةَ غـدا الأظعان من بطن مكة وخلَّفْنَني حلفَ السَّقام المواصلِ
على مُخْطَفاتٍ[١٩] كالحنيَّاتِ[٢٠] ضُمَّرٍ طِوالِ الهوادي[٢١] مُشْرفاتِ الكواهلِ[٢٢]

(١٧) أي أبومحمد عبدالله بن يحيى بن حمود الخريمي راوي هذا المجموع الشعري .

(١٨) وخد : ضرب من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي .

(١٩) مخطفات : فرس مُخطف الحشى أي ضامر .

(٢٠) الحيثات : حِنْو كل شيء اعوجاجه وتقوسه .

(٢١) الهوادي : الأعناق .

(٢٢) الكواهل : مفردها كاهل وهو مابين الكتفين .

شَـدَدْنَ عليهـنَّ الرِّحـالَ غُـدَيَّةً وقطَّعْـنَ أسـبابَ الهـوى والوسـائلِ
وماودَّعـوا بل أَوْدَعـوني صبابـةً وطـولَ ضنىً أُخـرى الليالي الطوائلِ
ومـاذا عليهـمْ لَوْ أَلَمُّـوا فسَـلَّموا علينـا وعاجـوا من صـدودِ الرواحلِ
وما كُنْتُ أخشـى البينَ حتَّى تقطَّعَتْ حبـالُ الهـوى ما بيننا والتواصـلُ
فلِلَّـهِ يوم البيـن مابيَّـن الهـوى من الوَجْـدِ في إثرِ الخليط[٢٣] المزايلِ
غـداة تنـادَوْا بالرَّحـيل فراعنـي فِـراقُ حبيـبٍ في الجـوانحِ نـازلِ
وعاجلنـا وَشْـكُ الفِراقِ فَلَمْ نُطِقْ سلامـاً وتوديعـاً بغيرِ الأنامـلِ
فَعُجْـتُ على رَبْعِ الحبيب مُسَلِّمـاً ففاضَـتْ جفوني بالدُّموعِ الهواطلِ
وَرُحْـتُ أباكي الطير في وُكُناتِهـا وأسـألُ أطـلالَ الرسـومِ المواثـلِ
فمـا زادني التَسْـآلُ إلَّا صبابـةً وهل عِنْدَ رَسْـمِ الـدَّارِ رَجْعٌ لسائلِ
فيا طـولَ أخواني وشـوقي وحسـرتي وَوَجْـدي وسـقمي بعـدهم وبلابلي[٢٥]
رَعـى اللَّـهُ مَنْ بَانَتْ حياتى بِبَيْنِه وَمَنْ حُبُّـهُ فَـرْضٌ وإنْ كانَ قاتلـي
ثـوى حُبُّـهُ في مُضْمَرِ القَلْبِ والحشـا ودبَّ هـواهُ في عـروقِ المفاصـلِ
أأحبابَنا إِنْ حَـالَ بالبَيْنِ عهـدُكُمْ فَعَهْـدي وَعَهْـدِ اللَّـهِ لَيْسَ بحـائلِ
أُقيـمُ على حِفْـظِ المـودَّةِ جاهـراً إلى أَنْ أُوارى في صفيحِ الجـنادلِ
سقـى اللَّـهُ رَبْعـاً كانَ يجمعُ شملَـنا ودارا بهـا كـانَ الحبيـبُ مُواصـلي
وأسْـقَى زمـاناً لِلـذاذةِ والهـوى من الغيـثِ منهـلُّ الغمـامِ الهواطـلِ
ليالـيَ بتنـا نجتنـي ثمـرَ المنـى خليَّيْـنِ لا نلـوي على عَـذْلِ عـاذلِ
نُديرُ كؤوس العِلْمِ في وسـط مَجْلسٍ من الجودِ والمعروفِ والخيرِ آهِلِ

(٢٣) الخليط : المخالط .

(٢٤) فعجت ؛ من عاج أي انعطف، وعاج: أي أقام .

(٢٥) بلابل : شدة الهم والوسواس .

بِحضْـرَةِ مولانـا الأميـر مُحَمَّـدٍ ... سَليـل علـيٍّ ذي العُـلا والفضـائلِ
هو الملـكُ المرجُـوُّ من آلِ هاشـمٍ ... إذا آشْـتَدَّ لأواءُ[٢٦] السنين الهواجـل[٢٧]
تفـرَّعَ من نَجْـلِ النبـيِّ مُحَمَّـدٍ ... فأَكْـرِمْ بمنْجُـولٍ وأكْـرِمْ بناجـلِ
جميلُ المحـيا طالـبيٌّ إذا آنْتَـمى ... رضـيُّ السَّجـايا أريحـيُّ الشـمائلِ
أمـانٌ لمرعـوبٍ ورُعْـبٌ لآمـنٍ ... وكهـفٌ لمطلـوبٍ وغيـثٌ لآمـلِ
هو الرُّكنُ ركـنُ الحِلْمِ والعِلْمِ والنُّهى ... هو البَـدْرُ بَـدْرُ التَّمِّ لَيْسَ بآفـلِ
بهِ تُضْـرَبُ الأمثـالُ شرقـاً ومَغْربـاً ... إذا ذُكِـرَتْ يومـاً فضيلـةُ فاضـلِ
أرى الجـودَ والمعـروفَ من سَيْبِ كفِّـه ... إلى ملـكٍ قـرمٍ[٢٨] أغـرَّ حُـلا حـلِ[٢٩]
فما هَمُّـهُ إلّا إغاثَـةُ سـائلٍ ... وإسعـافُ ملهـوفٍ وإعنـاءُ عائـلِ
تَفيـضُ جزيـلاتُ اللُّهى[٣٠] عند سَيْبِـهِ ... وأيْـنَ مِنَ اللُّجِّـيِّ فيـضُ الجـداولِ
وما كفُّـهُ إلّا الخِضَـمُّ إذا طمـا ... ولكنَّـه يُفْضـي إلى غيـرِ ساحـلِ
ومازُرْتُـهُ إلّا وَجَـدْتُ فنـاءَهُ ... كضيضِ[٣١] الزّحـامِ مِن وفـودِ القبائلِ
متى تأتِـهِ مُسْتَرْفِـداً تُلْـفِ سَـيِّداً ... جـواداً بما يحـويهِ لَيْـسَ بباخـلِ
وإنْ تأتِـهِ مستنصـراً تَلْقَـهُ إذاً ... لمسْتَنْصِـريه ناصِـراً غيرَ خـاذلِ
وإنْ تبغِـهِ عندَ الكريهـةِ تَلْقَـهُ ... جريئـاً على الأعـداءِ لَيْسَ بناكـلِ[٣٢]
تُجلِّي دُجى الظَّلْماءِ غُرَّةُ وَجْهِهِ ... وصمصامُهُ يَجْلُو دياجي القساطلِ[٣٣]

(٢٦) اللأواء : الشدة .

(٢٧) الهواجل : واحدها هوجل وهي الأرض التي لا معالم بها .

(٢٨) قوم : سيِّد .

(٢٩) الحلاحل : السيّد .

(٣٠) اللُّهى : مفردها لُهوة وهي العطية .

(٣١) هكذا وردت في المخطوط، والصواب كظيظ والمعنى : شدة الزحام وكاظ القوم بعضهم بعضاً : تضايقوا، واكتظ المسيل بالماء : ضاق من كثرته.

(٣٢) الناكل : الجبان .

(٣٣) القساطل : مفردها قسطل وهو الغبار الساطع .

يُذَبِّبُ عَنْ أحسابِهِ بحسـامِهِ ويَحمي حِمى آبائِهِ بالمناصِلِ
يَطُولُ مُلوكَ الأَرْضِ طُرًّاً بَطَوْلِهِ ويَطْوِيهِمُ في الفَضْلِ طَيَّ المناهِلِ
فَلَوْ نادَت الدُّنيا بخيرِ ملوكِهـا لنـادَت بـه ياخيرَ جافٍ وفاعـلِ
فواضلُهُ أَزْرَتْ بأَفْضالِ حاتـمٍ ومنطقُـهُ أزرى بسحبانِ وائـلِ
أقامَ منارَ الدِّين بالعَدْلِ جاهـداً وصانَ مكانَ الحقِّ عن كُلِّ باطلِ
وقـام بأمـرِ اللَّـهِ كُلِّ مَشْهَـدٍ قيـامَ مُجِـدٍّ فيـهِ لَيْسَ بهـازِلِ
بَنى لـذوي العلياء للمجـدِ قُبَّةً قواعدُها من بذل عُـرفٍ ونائلِ

[٤]

تَوَقَّـرْ مِنْ جماحِـكَ في الزِّمـامِ وأَسْفِـرْ عَنْ قناعِـك واللِّثـامِ
وَزَعْ عن[٣٤] غَرْبِ لِفظِكَ في مقالٍ تُعَـرَّفْ غِبَّـهُ[٣٥] عِنْدَ الُمقـامِ
ولا تبـذَخْ بهـودٍ[٣٦] فهـو مِنَّـا تَحَـدَّرْنا جميعـاً مِنْ غمـامِ
ولا تَفْخَـرْ بِقَـوْمٍ أَنْتَ مِنْهُـمْ مكانَ المَنْسِمَيْنِ[٣٧] من السَّنامِ
ولا تَحْسَبْ جوابي ذا ولكن جَوابي صَدْرُ رُمحي أو حسامي

التخريج : دمية القصر ١/٧٧ ـ ٧٨
الوافي بالوفيات ١١/١٦٧ ـ ١٦٨

(٣٤) الوافي (من) ١١/١٦٧ .
(٣٥) الوافي (عيَّه) .
(٣٦) الوافي (بهودَ فهودُ) .
(٣٧) المنسِم : بكسر السين خف البعير .

[٥]

وأنشدنا أبومحمد لابن الحكاك المكي الكاتب:

لَأرْوى مَنْـزِلٌ أَقْـوى دُوَيْـنَ العـدِّ فَالَأطْـوَى[38]
وَقفْـتُ أبثُّـهُ شَجْـوي فَزِدْتُ لِبَثِّهِ شجـوا
شَكَـوْتُ إِلَيْـهِ ما أَلْقَـى فما أَغْنَيْتَـنيَ الشَّـكوى
وقالَ بقيت بَعْـدَهُمُ أَظُـنُّ هَـواكَ ذا دَعْـوى
أَلاَ أَبْـلاك ما أَبْلـى طلـولي من نَـوَى أَرْوى
وألّا مُـتَّ من كَمَـدٍ فَقُلْـتُ بقيـتُ لِلْبَلْـوى
وَلَوْلا ذاكَ لَـمْ أَسْلَـمْ فَقَـدْ فارقـتُ من أَهْـوى

(38) العد والأطوى: إسمان لموضعين لم أعثر عليهما في معاجم البلدان .

مصـــادر البحـــث

١ ـ اتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد ـ تحقيق فهيم شلتوت ـ منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

٢ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .

٣ ـ البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ـ تحقيق محمد عبدالغفار النجار ـ مكتبة الأصمعي ـ الرياض .

٤ ـ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي .

٥ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي ـ تحقيق د . سامي مكي العاني دار العروبة للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية ـ الكويت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٦ ـ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٧ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ـ القدسي بمصر ١٣٥٠هـ وطبعه أخرى دار المسيرة ـ بيروت .

٨ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ـ دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦م .

٩ ـ العقد الثمين لتقي الدين الفاسي المكي ـ تحقيق فؤاد سيد ـ القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م .

١٠ ـ غاية المرام لعز الدين عبدالعزيز بن عمر الهاشمي القرشي ـ تحقيق فهيم شلتوت ـ طبع مركز البحث العلمي لجامعة أم القرى .

١١ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

١٢ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ـ حيدرآباد ١٣٣٧هـ .

١٣ ـ المنتظم لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ـ مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٥٨هـ ـ الطبعة الأولى .

١٤ ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ـ باعتناء مجموعة محققين ـ طبع المعهد الألماني .